

الأستاذ عبد القواب يوسف

رائد الأدب الإسلامي للأطفال

والحائز على جائزة الملك فيصل.. رحمه الله

الكتابة الإسلامية أدب وفن يحتاج لموهبة وخبرة



هذا الحوار، اعتبره الكاتب بمثابة اختبار صعب وامتحان قاس، وهو في أحاديثه مع الصحف والمجلات يجيب شفها وتلقائيا، غير أنه في هذه المرة إزاء ورقة، يجيب فيها تحريرا.

وكما كان في طفولته يخشى أساتذته الممتحنين وقلمهم الأحمر، يرتجف إزاء القراء، ويخاف أن يفوح من بين السطور لون من الفخر الكاذب أو الرضا عن النفس.. هو يجيب على ما وُضع أمامه من أسئلة بما يمليه عليه ضميره.. وقد أقسم أن يقول الحق، كل الحق، ولا شيء غير الحق.. ويشهد الحق - جل جلاله - على كل حرف كتبه.

وهو حين يُقال له: إنه «كاتب إسلامي» يرى أن ذلك شرف لا يدعيه، وأن ما يكتبه «محاولات» يسأل الله أن تكون على طريق الخير، ويدعوه سبحانه وتعالى أن يسد خطاه وأن يأخذ بيده وهو، لم يحذف سؤالا، ولم يضيف لما طرح عليه شيئا والتزم بما سماه (ورقة الاختبار)!

■ نرجو إعطاء لمحة عن حياتكم.. وجهودكم في ميدان أدب الأطفال.

■ الحقيقة أن الحديث عن النفس يطيب للبعض، إلى حد الإسهاب فيه، بينما يضيق به آخرون، إذ فيه شبهة امتداحها والزهو بها، حيناً، وجلد الذات حيناً آخر.. وقد تحدثت عن حياتي كثيراً منذ ولدت في قرية صغيرة على حافة الصحراء الغربية، تبعد عن قرية د. طه حسين ما لا يزيد على عشرين كيلو متراً.. قرية معزولة تماماً، برغم ضخامة عدد سكانها (يوم ولدت فيها كان تعدادها خمسة آلاف وأظنها اليوم قد وصلت إلى خمسين ألفاً!).. ولدت لأب و(كان أبي معلماً) وهو عنوان كتاب لي عنه، طبع لا أقل من خمس طبعات، و(كانت أمي أمية) لا تقرأ ولا تكتب، ولديّ الكتاب الذي كان أبي يقرأ فيه لأمي عن وسائل التربية (الحديثة) يومئذ، وربما كان أول كتاب صدر بالعربية في هذا الموضوع، وغادرت القرية مع أمي، وعمرى أربعون يوماً، كما قالوا لي، وقد سبقني إخوة رحلوا جميعاً، وجاء من بعدي ثلاث شقيقات.. وقد ربانا أبي الشيخ تربية دينية.. وألحقني بمدرسة أولية، ثم ابتدائية، وبعدها الثانوية وأذكر أنني كنت متفوقاً في دراستي ولم يحدث قط أن رسبت في أية مادة، غير أنني لم أكن قط الأول على زملائي، لسبب بسيط هو أنني كنت متعدد الهوايات الرياضة، القراءة (ولديّ صورة نشرت مؤخراً وأنا عضو في جمعية المحاضرات والمطالعة العامة وعمرى ثماني سنوات!).. وقررت وأنا طفل أن أعمل كاتباً.. والتحققت بجامعة القاهرة، وفي السنة الثانية بدأت أعمل في الصحافة والكتابة وعمرى ١٧ سنة، واتجهت لدراسة العلوم السياسية، وفور تخرجي في الجامعة رحل عني أبي، وتحملت العبء ثقيلاً قاسياً إلى أن تمكنت من اجتياز هذه المحنة، مواصلاً الكتابة للإذاعة وقد أخذ بيدي (بابا شارو) لكي أكتب للأطفال، وأحمد الله أن وفقت (أحياناً) في هذا، وتخصصت فيه بعد انعطافة حادة نحوه في أواخر الستينيات، متجهاً إلى عالم الكتاب، ومنذ ذلك الحين صدر لي ما يزيد على ثلاثمائة عنوان، بعضها سجل نجاحات كأن تطبع منه ملايين النسخ لوزارة التربية، أو بالحصول على جائزة عليه، وهذه الجوائز عديدة، وأعتز كثيراً بجائزة الملك فيصل العالمية في الآداب، التي حصلت عليها قبل عشر سنوات، وقبلها حصلت على جائزة الدولة التشجيعية مرة عام ١٩٧٥م في أدب الأطفال، والثانية ١٩٨١م في ثقافة الأطفال، ومن بعدها جوائز تصل إلى أرقام غير عادية، إلى حد حصولي على ثلاث جوائز متوالية

في أواخر العام الماضي: جائزة أفضل كاتب أطفال في مصر في التسعينيات من المجلس الأعلى للثقافة، وجائزة أدب أكتوبر للأطفال من القوات المسلحة، ثم جائزة السيدة الجليلة سوزان مبارك عن سلسلة من خمسة كتب عن (توشكى).. ولم أزرها، لكن من وحيها ومن وحي طفولتي في الإجازات في القرية أمكنني أن أصوغ عنها ملحمة، بدأت من موقعي من نهر النيل، وصولاً إلى عام ٢٠٨٠م، وقد حملت الكتب عناوين: توشكى: الخضراء - النماء - الوفاء - الرخاء.



■ علي أحمد باكثير

■ ما أبرز مؤلفاتكم في أدب الأطفال؟ وما الكتاب الذي نلت به جائزة الملك فيصل؟

■ بداية، لي مؤلفات عن أدب الأطفال، هي دراسات فنية للكبار، تحمل عناوين: فصول في أدب الأطفال، ثقافة الأطفال، حقوق الأطفال، الطفل والقراءة.. ثم طفل ما قبل المدرسة وأدبه.. ثم الطفل العربي والأدب الشعبي، واعتز كثيراً بكتاب: فصول في أدب الطفل المسلم، وقد صدر عن نادي جدة الثقافي الأدبي، إذ ألقيت فيها محاضرة عن هذا الموضوع، وكان أن طلب إليّ رئيسها الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين أن أتوسع فيما قلت، وأن أسجله في كتاب، نفذت طبعته وأفكر في إصداره من جديد، هذه الكتب التي تجاوزت العشرة، أكتب فيها للكبار، والكثير منها تلقفته بعض الجامعات والكليات، كمرجع ومصدر، خاصة وقد أتيت لي بجانب ثقافتي الإسلامية العربية فرصة الاطلاع على أدب الأطفال العالمي وترى «ياكوش» مسئولة كتب الأطفال في مكتبة الكونجرس أنني من أكثر المطلعين على هذا الأدب عالمياً، لأنني قرأت وأقتنت آلاف الكتب الصادرة للأطفال وعن أدبهم، ووصفها



■ عبد الحميد جوده السحار



■ محمد سعيد الغريان

■ حوار العدد مع .. الأستاذ عبد التواب يوسف

د. عبد العزيز المقالح مدير جامعة صنعاء بأنها مكتبة عملاقة، وقال رئيس المجلس العالمي لكتب الأطفال عندما زارني في بيتي - إنها أضخم مكتبة أطفال في بيت في العالم كله، إذ تحتل ست غرف، هي كل البيت، والذين يزورونني يرون أنني أعيش في مكتبة، بل لقد اضطررت إلى نقل نصفها إلى شقة أخرى من ست غرف أيضاً !

أما مؤلفاتي فقد تضمنها كتاب صدر في طبعتين، الأخيرة فور حصولي على جائزة الملك فيصل، وهو عن «الهيئة المصرية العامة للكتاب» بعنوان: عبد التواب يوسف وإنتاجه الفكري والأدبي.. وقد أضفت للمكتبة العربية للأطفال بعد صدور هذه البيلوجرافيا ما يزيد على ١٥٠ عنواناً (لا أقول كتاباً لأنه في عرف اليونسكو أن الكتاب يجب أن يكون في خمسين صفحة على الأقل)...

ومن أبرز كتبي للأطفال «حياة محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين قصة» وطبع منه ٧ ملايين نسخة، وكان استهلالاً طيباً لكتاباتي الدينية التي تجاوزت الآن مائتي عنوان (يعاد طبع هذا الكتاب الآن) !..

وأصبح لي منهج في الكتابة الإسلامية، وكانت قبلي مركزة على التاريخ الإسلامي، وجددت بأن كتبت في: العقيدة، القرآن الكريم (صدرت لي سلسلتان: من قصص القرآن عن الطير والحيوان - ٣٠ عنواناً - ثم خمسة كتب تحت عنوان المكتبة القرآنية للأطفال.. وهناك بعد ذلك «قصص ظريفة وحكايات طريفة من الأحاديث الشريفة في ٣٠ عنواناً، وبعدها أركان الإسلام في ٢٥ عنواناً ثم فرسان الإسلام في ١٥ عنواناً وأطفال أبطال في ١٠ عناوين، بجانب محمد خير البشر في ١٥ عنواناً.. ثم عدة كتب عن القيم الإسلامية، من بينها (قم وقيم)... وسلسلة (اللقاء الفريد) في عشرة عناوين عن الحضارة الإسلامية وكانت جائزة الملك فيصل عن أعمالي، إجمالاً.. وقد توجت جهودي حتى مطلع التسعينيات، وبعدها أصدرت (قصص عصرية إسلامية) ثم (تجربتي) ومعها عشر قصص صدر عن (بنك الأفكار الدولية) في الرياض..

■ هل ترون توجيه أدب الأطفال وجهة إسلامية.. أم يكتفي بتطبيق النظريات التربوية الغربية؟

■ كاتب الإسلاميات للأطفال عملة نادرة ولانسي أن كاتب الأطفال أصلاً، عملة نادرة.. وإذا لم يكن كاتب الأطفال مسلماً إلى الخناع، فلن يكتب أعمالاً دينية تلقى الإقبال، وهو هنا مطالب بأن يقرأ كثيراً في أمور الدين، وأن يكون موسوعياً

في أمورها.. ولدينا كاتب غير مسلم يكتب لأطفالنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في «كهف»، ونسميه نحن «غار».. وهو متعمد ! ويكتب أن بشر زمزم حفرها سيدنا إبراهيم من أجل ولده سيدنا إسماعيل، ونعرف أنها انبثقت تحت أقدام أمه السيدة هاجر.. وهو يكتب إسلاميات منقولة محرفة، لأنه أيسر عليه، وهو يسمى بلقب يخفي أنه غير مسلم.. والعجيب أنه يكتب لطائفته بابا آخر، يفرق فيه في أمور ديانته وضج الجميع من عمله لكن ما من أحد قادر على وقفه وردعه وكلما كثرت أخطاؤه، زاد شأنه رفعة في أكبر صحيفة في وطننا العربي! وإذا كانت الكتابة للأطفال من الصعوبة بمكان، فالكتابة الدينية «الإسلامية» أصعب، إذ هي ليست مجرد حكايات عن السلف الصالح، ولا هي مجرد مواعظ ونصائح، إنها أدب وفن يحتاج لموهبة وخبرة ومهارة.. خاصة إذا كان يلتزم في أعماله النظريات التربوية الإسلامية، مضيفاً الدراسات الغربية التربوية مستبعداً منها ما يخالف تعاليمنا..

مثلاً: أدب الغرب مليء بالأساطير اليونانية التي لا أكتبها قط لأطفالنا لأن الميتولوجيا الخاصة بها ترتبط بما يسمونهم (الآلهة).. إله للخير، وآخر للشر، وثالث للحب، ورابع وخامس.. وبينهم حروب.. وهذه أعمال غير صالحة لأبنائنا.. لأننا نؤمن بالله الواحد الأحد.

ولدينا تراثنا التربوي، وقد استخلصه من قبل أساتذة أجلاء في كتب عديدة، وفي تقديري الخاص أن إخوان الصفا قد قدموا أشياء جلية في هذا المجال.. بل تخصص عدد من الباحثين في «التربية الإسلامية»، وقراءة هذه الكتب ضرورية، وإن كنت من المؤمنين بأن الأدب يخرج عن إطاره إذا صار تعليمياً مباشراً، ونصائح، ومواعظ.. إنني أتصور أن الأدب فن رفيع، يترك في النفوس انطباعات فريدة، ويأخذ بيد القاريء إلى عالم رائع، وهو يختلف عن التربية اختلاف الكليات نفسها تلك التي تدرس وتعني بالآداب، وتلك التي تهتم بالتربية، وهذه تعتبر الأدب وسيلة تعليمية وتربوية، وأراه أكبر من هذا بمراحل.. والتوجه الإسلامي في أدب الأطفال يرجع إلى قدرة الكاتب على الإبحار في محيطه، متجنباً المحظورات والاختلافات المذهبية مبتعداً عن التخويف والتهديد المستمر بالنار وجهنم، بأن تعتدل كفتا الميزان، وليس على لسان الأطفال إلا عبارة: ستدخل النار، إذا كسر كوباً أو سكب اللبن.. الله عطوف غفور رحيم والجنة تنتظر الصالحين.

■ هل لكاتب الأطفال خصوصيات معينة تنبع من

خصوصية هذا الأدب؟

■ الجواب: نعم.. هو بداية يجب أن يكون كاتباً، لديه ما يقوله، وما يبذره.. شأن أي كاتب للكبار.. وعندما يتخصص في الكتابة للأطفال عليه أن يضيف إلى خبراته معرفة بما يحبه الأطفال ويميلون إليه، ويقبلون عليه، وهذا لا يكفي إذ من الضروري أن يلم باحتياجاتهم الضرورية. لأننا لا نتوقف عند الميول والرغبات (نحن لانطعم الأطفال ما يحبون فحسب لأن هناك ما هو ضروري لبنائهم).. لذلك من المهم أن يقرأ كاتب الأطفال في علم النفس، والتربية، والتعليم.. وأن يقرأ أكثر عن الأدب، عامة، وأدب الأطفال خاصة.. ليتفادى الأخطاء ومن المشكلات الصعبة التي تواجه كاتب الأطفال: اللغة التي يكتب بها.. هناك لهجة دارجة يتحدثون بها، وألجأ إليها عندما أكتب للإذاعة أو التليفزيون أو المسرح.. وقاموسها واسع لأن الطفل يفهمها، في سهولة ويسر.. أما في الكتب فإنني لا أسمح للكلمات العامية أن تتسرب إليها، لأنني أكتبها للطفل العربي، في كل مكان، وأريد أن أثري محصوله اللغوي، لذلك لا أكتب داخل قاموسه الذي يعرفه فحسب، بل أضيف إليه كلمات وعبارات ومفردات جديدة، وأيضاً أستخدم المرادفات.. وكاتب الأطفال هنا مقيد - وليس مثل كاتب الكبار - لأن عليه أن يكتب أدباً وبأسلوب جميل برغم قلة الكلمات التي يعرفها الطفل وما أكثر ما لا يستطيع استخدامها لصعوبتها.. ولا أستخدمها إلا إذا شرحتها وفسرتها، ولا أضع قط معاني الكلمات في هامش أسفل الصفحة، لأن ذلك يقطع على الطفل تسلسله في القراءة، وانفعاله بها..

وهكذا ترون أن الكتابة للأطفال لها خصوصيتها.. ويضيف الكاتب البريطاني الشهير (رولاد داهيل) - وهو من أهم كتاب الأطفال في انجلترا ورحل منذ سنوات قليلة - بعض الشروط الواجب توافرها في كاتب الأطفال بجانب كلماته البسيطة وعباراته الواضحة، وأسلوبه الجميل، ضرورة أن يكون محباً للأطفال. والغريب أن السيدة (ترافيرس) مؤلفة سلسلة (ماري بوبينز) الشهيرة، قد أعلنت في أكثر من مرة أنها لا تحبهم - وأظنها غير صادقة في هذا - كما أن (مادلين لنجل) التي رأست اتحاد الكتاب في أمريكا تنكر تماماً أن هناك شيئاً اسمه أدب الأطفال - وهي كاتبة أطفال حائزة على أكبر جوائز - جائزة نيوبري - سنة ١٩٦٣م.. إنها تقول إنها تكتب فناً من الممكن أن يقرأه القراء في أي سن.. والحقيقة أن كاتب الأطفال يتجه إلى سن أو مرحلة يشعر بالارتياح لها، وبالقدرة على الكتابة، لها

كشريحة.. و(داهل) يشترط أيضاً أن يكون كاتب الأطفال مرحاً، خفيف الظل، ويرى أنه لا ضرورة لكاتب الكبار أن يكون كذلك.. أما كاتب الأطفال فإن ذلك محتمل.. وأنا معه في ذلك.

■ ما رأيكم في قصص الأطفال ومجلات الأطفال التي تترجم عن الغرب؟ ما دورها في تكوين طفلنا المسلم؟

■ لست ضد هذه المجلات، مع أنني أعلم يقيناً أن دار نشر في عاصمة عربية تصدر سبع مجلات - مجلة يومية - وكلها

مترجمة عن مجلات أمريكية تستهدف أطفالنا.. إنني أريد لطفلي أن يستمتع مثل أطفال العالم بهذا اللون من الفن

المتقن.. لست ضد كل ما هو غربي.. لكنني أريد منه قدراً قليلاً، معقولاً، ومقبولاً.. المشكلة، أن مؤسسات

غربية تباع لنا هذه المواد التي

يريدون إغراق أطفالنا بها.. أنا ضد الإغراق،

كما أنني ضد حرمان طفلنا من أن يعرف «ميكي» و«تان

تان».. إنه طبق لذيذ يشتهيهِ وإذا أنا حرمتُه منه سيزاد إقبالاً



■ حوار العدد مع .. الأستاذ عبد التواب يوسف

عليه.. والمشكلة الحقيقية في تقديرنا الخاص أننا لا ننقل لأطفالنا «الأدب» الحقيقي.. إن لديهم أعمالاً كلاسيكية بالغة الروعة، صقلت عقول أطفالهم، وقائمة هذه الكتب طويلة، لكن أحداً لا يعطيها عنايته، لأن الكرتون الرخيص وراءه من يتكسب منه.. إنني كلما التقيت بزميل أسأله: ماذا قرأ من أدب الغرب للأطفال؟ من تعرف من كتاب الأطفال في العالم؟.. واكتشف أن أصحاب الأسماء الكبيرة هناك، لا أحد يعرفها هنا.. الكبار عرفوا: شكسبير، وشو وديكنز ولدينا كتاب عربي بعنوان: ماذا علمني ووردورث، هذا للكبار، والسؤال، من هم كتاب الأطفال وأدبهم - بعد أندرسون - ممن حازوا الجائزة العالمية المعروفة باسمه، والتي يطلق عليها نوبل الصغيرة إنني أحب أن نفتح نافذة لأطفالنا على أدب الأطفال العالمي، شرقاً وغرباً.. المتمثلة في «الكرتون» بالذات، سواء في المجالات أو التليفزيون، والغريب أن أصحابها يقولونها صريحة: نحن نسعى إلى «أمركة» العالم بها، شأنها في ذلك شأن الهمبورجر وغيره من الأطعمة.. قد نسمح لطفلنا بواحد منه في الأسبوع أو في الشهر: يكفي.. والباقي طعامنا الخاص بنا.. هكذا يكون هناك لون من «التوازن» مطلوب: نرفض أن يغرقونا بأبطالهم السوبر، خاصة وتراثنا فيه ما هو أفضل.. أخذوا منا (علاء الدين) وصنعوه فيلماً كسب ٢٨٥ مليون دولار في عام عرضه الأول، وعلى بابا والسندباد معروف جيداً لأطفالهم.. نهر ثقافتنا دافق، لن يضره كثيراً رافد صغير، يجيء من الشرق: اليابان، الصين، أندونيسيا، باكستان، الهند.. ومن أفريقيا السمراء جنوباً، ومن أوروبا وأمريكا شمالاً.. الأمر يتوقف على الأسرة العربية المسلمة التي ترفض أن (يتأمر) أطفالها، وتأبى إلا أن تغرس فيهم القيم العربية الأصيلة، وأن تجعل منهم مسلمين مؤمنين بالله ورسوله.. لذلك أرفض أن أغلق الباب بالكامل في وجه الأدب العالمي، وبنفس القوة لا أقبل أن يجتاح أطفالنا.. لأننا نعلم أن ما يزيد على حده، ينقلب إلى ضده.. حصنوا أولادكم بالأدب السوي.

■ كيف يحقق أدب الطفل المسلم المهام والمسؤوليات المنوطة به؟.. وكيف يمكن تكوين طفل مسلم سوي وواع؟

■ هناك أربعة أجهزة ومؤسسات يصل بها الأدب إلى أطفالنا.. المؤسسة الأولى هي الأسرة، وإذا كانت أسرة مسلمة مؤمنة، استطاعت أن تقدم لطفلها أدباً إسلامياً حقيقياً، من خلال معاشيتها له.. والمؤسسة الثانية هي

المدرسة، ونجدها تكتفي في حجرات الدراسة بتقديم بعض المعلومات الدينية والمعارف الإسلامية.. إن تقديم الأدب الإسلامي مسئولية المدرسة، بجانب البيت.. أما المؤسسة الثالثة فهي وسائل الإعلام: صحافة وإذاعة وتلفزيون، وهذه يجدر بها أن تقدم الأدب الإسلامي للأطفال على أعلى مستوى رفيع، يؤثر في الطفل الذي بدأ يدمن الكرتون لكثرت، وإحاحه عليه.. من خلال المجالات والتلفزيون.. المؤسسة الرابعة هي وسائل الثقافة: الكتاب، المسرح، السينما.. وهذه كلها يجب أن تحاول تقديم أعمال فنية عالية المستوى، وذات تقنية، لا تقل عن تلك الوافدة علينا..

هذه المؤسسات الأربع من الضروري أن تستثمر أدب الأطفال وتتيح له الفرصة من أجل أن يؤدي دوره ومهمته الجليلة.. على أن يكون هناك فعلاً أدب للأطفال، وكتاب يمارسون كتابته بوعي وإتقان.. ومن الممكن في هذا الصدد إعادة كتابة الحكايات الشعبية كرافد مهم، بجانب أعمال عالية عالية القيمة.. وأيضاً الكتابات الدينية التي يجب أن تخرج على النسق التاريخي، والحكايات المنقولة عن كتب التراث.. لأن الدين صالح لكل زمان ومكان، ولا يمكن حصره فيما مضى، فحسب.. إننا نستطيع أن نستوحي التاريخ لكتابة أعمال عصرية، بل بالغة العصرية.. بل ربما ننطلق من خلاله إلى المستقبلات، وأدب الخيال العلمي.. ونموذج الطفلة التي تركت وحدها بالبيت مع شقيق صغير نائم، وكانت عينها تطوفان في لوحات قرآنية معلقة على الجدران، وفجأة انقطعت الكهرباء وساد الظلام، وبدأت ترتعش رعباً وخوفاً، وكل صوت يترامى إلى أذنيها يزيد لها فزعاً.. وكانت العربات تسير في الشارع وأضواؤها تنفذ إلى الغرفة، وإذا بها على نورها تقرأ واحدة من اللوحات عليها (الابنكر الله تطمئن القلوب)، وتذكر الله، وساعتها نسيت مخاوفها..

إنه العصر: كهرباء، وسيارات، وما إلى ذلك من مبتكرات عصرنا وطفلة هي ابنة اليوم، وآية من قرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم منذ ما يزيد على ١٤ قرناً هجرياً.. نزرع الثقة في النفس ونطرد الخوف، ونظمئن القلب.. يمثل هذه القصص نواكب عصرنا.

وحيث أتعرض لسيرة الصحابة، مثلاً لا أكتب سرداً تاريخياً، إنما اختار حادثة، أو مقطعاً أراه يفيد الطفل في حياته الراهنة: الشجاعة ليست عنفاً وضرباً، نام أحدهم في القراش، وصحا بطلاً، إنه على بن أبي طالب ليلة الهجرة..... القائد العظيم يصلح جندياً عظيماً: خالد بن الوليد بعدما عزله عمر، أصبح من جنود أبي عبيدة بن الجراح..... وقعت

حادثة سيارة، وأحس راكب مصاب انه يودع الحياة، فراح يحاول نطق الشهادتين، وإذا بالطبيب يقول له: إن محاولتك هذه كانت بمثابة تنفس صناعي أنقذك من موت محقق.

■ ما رأيك في الأدب الإسلامي مذهباً وأدباً؟ وهل ترى تقرير مادته في كليات الآداب؟

■ الأدب الإسلامي، موجود، ومكتف لدى عديد من الكتاب، ويحضرني اسمان: على أحمد باكثير، ود. نجيب الكيلاني، وكتب كامل كيلاني سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في سلسلة حوارات بين أصدقاء ثلاثة.. كما كتب عبد الحميد جودة السحار وبرانق، والعريان أدباً إسلامياً، رفيع المستوى.. إن - الأدب الإسلامي - موجود بوضوح، لكن المشكلة تكمن في أن علماء الدين لدينا لا يقدرّون على كتابة الأدب للأطفال، وكتاب الأطفال ليسوا على خبرة كبيرة بأمور الدين تمكنهم من إنتاج أدب إسلامي، لذلك قلت إن الكاتب الإسلامي للأطفال عملة بالغة الندرة، ومحاولات البعض ارتياد هذا المجال بدون موهبة وخبرة أنتج سيلاً من الأعمال الدينية في مستوى لا أرضى عنه.

وإذا كان الأدب في تعبير المرحوم الشيخ أمين الخولي هو: وقع الوجود على الوجدان، فإن الدين موجود، وحي في النفوس، ووقعه على الوجدان لابد من التعبير عنه، على أن يلتزم في ذلك بتلك الإطارات الأدبية التي لها شروطها، قصيدة كانت أم قصة، أو رواية.. إذ العمل الأدبي له تقنياته وأساليبه. وفيما أرى، لابد من تقرير مادته في كليات الآداب، غير أن الذي يدهشنا حقاً أن الذين يدرّسونه غالباً هم طلاب كليات التربية، ليستعينوا به في أداء مهمتهم التعليمية والتربوية، والغريب أن العديد من كليات الآداب تقوم بتدريس مادة الأدب الشعبي، وأصبح له أساتذته، و(لعل كرسى الأدب الشعبي في جامعة القاهرة أوضح مثال ونموذج، وقد جلس عليه استاذنا المرحوم الدكتور عبد الحميد يونس، ومن بعده، أساتذة أجلاء من بينهم د. أحمد مرسى) والسؤال:

- ألا يكون الأدب الإسلامي جديراً بنفس المستوى؟ وكثيراً ما ناشدنا الأزهر الشريف، والجامعات الإسلامية أن تجعل لأدب الأطفال مكانة.. لكن ذلك لم يتحقق إلا في أضيق نطاق، وإن نقل لي بعض الأصدقاء أن بعضاً من أساتذة كليات الآداب يعتمدون على كتاب (فصول في أدب الطفل المسلم) في تقديم بعض محاضراتهم.. وهم يرون فيه لونا أدبياً يجب الوقوف عليه وعنده، خاصة في مجال الشعر،

والصوفي منه بالذات.. ألا تستحق بردة البوصيري وعمرية حافظ أن يدرسها الطلاب؟ وماذا عن شعر حسان بن ثابت؟.. وماذا عن الأدب في القرآن الكريم، وأظن د. طه حسين هو الذي قال: كل آداب الدنيا: شعر ونثر، إلا العربية، فهي شعر

ونثر وقرآن.. وفي النقد مثلاً، ظن البعض أن «البنائية» نوع جديد وحديث إلى أن أثبت الباحثون الدارسون أن لها جذوراً عميقة لدى عبدالقاهر الجرجاني.

ولسوف يكون للأدب الإسلامي شأن وأي شأن إذا ما انكب عليه أساتذة الجامعات دراسة وتحليلاً، وساعتها سوف يكون من المواد الأساسية في جامعاتنا.

وكثيراً ما أتساءل عن دور منظمة النقاد الإسلامية - بالمغرب - في مجال الأدب الإسلامي؟

■ هناك من يرى أن دراسة الأدب الإسلامي تعارض الأدب العربي..

وتعمل على تجزئة الساحة الأدبية.. ما رأيكم في هذا؟

■ لا تعارض قط بين الأدبين، وشيء طبيعي أن أكون مصرياً عربياً مسلماً، إذ مصر بلدي ووطني، والعروبة أمتي وأهلي وقومي والإسلام ديني الذي أدين به.. الأدب العربي، موجود على مستوى الوطن العربي فحسب، لكن هناك أدباً إسلامياً، يكتبه مسلمون في أندونيسيا، وباكستان، وإيران، وتركيا، وغيرها.. إن هناك أدباً أندونيسياً، لكن حتى في الأدب الشعبي الإندونيسي حكايات رفيعة المستوى باللغة الروعة، ولي كتابان صدرتا عن دار سفير فيهما قصص إسلامي شعبي أندونيسي، وهما بعنوان (إن شاء الله).. و(تل النمل).. كما كتب د. حسين مجيب المصري - هذا اسمه وليس لقباً - كتاباً رائعاً عن رمضان في الشعر: في اللغات العربية والفارسية والتركية، أليس هذا أدباً إسلامياً؟..



لأسمح للعامة بالتسلل

إلى كتاباتي.. لأنها موجهة

إلى الطفل العربي بعامة

■ حوار العدد مع .. الأستاذ عبد التواب يوسف

الإسلامي الإفريقي؟!.. وأعني هنا إفريقيا السمراء، فيما هو جنوب الصحراء الكبرى.. ناهيك بالأدب الإسلامي في جمهوريات جنوب بحر قزوين، والتي أسدل عليها ستار حديدي استمر عشرات السنين؟!.. لقد قرأت أعمالا إسلامية، أطلت من ثنايا أدب «الاتحاد السوفيتي» الذي كان فيما مضى، وأراد يطاول أعمال كبار أدبائهم.. إننا نقصر في الأدب الإسلامي، عندما نجعله محصورا داخل نطاق أدبنا العربي، فحسب.. نعم، بين حين وآخر تطل علينا أعمال إسلامية من أقطار غير عربية، وفي تقديري الخاص أن المجلة لو أنها اتجهت إلى هذه الآداب الإسلامية، على مستوى العالم، فإنها سوف تلقى قبولا كبيرا، ربما فاق ما تلقاه مثل «ريدز دايجست» التي توزع في كندا وحدها ٩ ملايين نسخة سنويا..!.. انني أطالب المجلة بأعمال إسلامية اندونيسية وباكستانية وإيرانية وهندية وتركية، مترجمة إلى العربية، وأيضا أطلع إلى نشر أعمالنا الإسلامية بلغات هذه البلاد.. كان الاتحاد السوفيتي ينشر أدبه في خمس عشرة لغة، ليس أدبنا الإسلامي جديرا بمثل هذه الخطوة؟!.. لقد استوحيت مسرحيتي (الأسير) من إطلاق الرسول صلى الله عليه وسلم سراح أسرى بدر إذا علم الواحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة: أليس ذلك أدبا إسلاميا، يمكن أن يقرأ على مستوى أقطار العالم الإسلامي؟!.. أعرف صعوبات الترجمة ونفقاتها وأعرف أن الموارد المادية يمكن أن تقف عقبة أمام مثل هذا الاقتراح، لكن جدير بالدراسة، وأجدي علينا من التبصر بأموالنا للغرب، وليست لدي رغبة في أن أقلل من قيمة الخير الذي يكمن في مثل هذه التبرعات، لكن هناك أولويات وليت هؤلاء الذين تبرعوا لحدائق الحيوان ومنتجع «جحر التعلب» في واشنطن، يمنحون الأدب الإسلامي شيئا مما حباهم الله به من خير.. إن أدبنا الإسلامي، عالمي، مثل ديننا الحنيف، وفي تقديري الخاص إنه قادر على أن يثري الأدب العالمي بما يتضمن من قيم روحية بالغة الروعة بالغة الصفاء، بالغة العذوبة.. ومرة أخرى: أين منظمة الثقافة الإسلامية؟.

■ ■ ■ لماذا تنصح الأدباء المسلمين، عامة وكتاب أدب الطفل المسلم، خاصة؟

■ ■ ■ النصائح في هذا المجال لاتجدي كثيرا، إذ أفضل أن يكون الكاتب «نفسه» بلا تدخل من جانيه.. إن النزعة الدينية إذا تغلغت في النفس صارت قادرة على أن تجعل المبدعين يقدمون أعمالا بديعة وفريدة.. إن أعمال جوته الألماني، ذات

رمضان له في نفوسنا مكانة خاصة، فلماذا لا نقول ونكتب فيه شعرا ونثرا؟! هناك مجموعة قصصية لي تضم ثلاثين قصة عن رمضان، وثلاث قصص عن عيد الفطر، جعلت عنوانها (حبات المسبحة) أهي أدب عربي؟!.. نعم.. وهي في نفس الوقت أدب إسلامي، استوحيت من الشهر الكريم، الذي يمسك بتلابيب قلبي سنويا، فيجعلني أكتب عنه عشرات القصص، وأظنها الآن يمكن أن تعد بالمئات.. هل يتعارض هذا مع وجود أدب عربي كُتبه ويكتبه أدباء أجلاء، إنه عربي اللغة والتوجه، ولا أظن على الإطلاق أن هناك تعارضا، أو تجزئة، هل هناك تعارض وتجزئة ما بين الشعر والقصة والرواية؟!.. إن لدينا في الأدب الشعبي نفسه قصصا دينيا بديعا وجميلا، وقد استخدمت بعض حكاياته وطورتها، وأجدها مناسبة للأطفال، بل يطربون لها كثيرا.. إن الخوارق التي صعدت بها أمريكا رؤوس أطفالنا مثل (سوبر مان، بيدرمان، وبات مان و..) لدينا ما هو أجمل منها بكثير.. لماذا نقبل هذه القوى الخارقة من عندهم ولا نقبلها إذا وجدت عندنا متمثلة شخصيات خارقة موجودة في أدبنا عربيا أو إسلاميا؟!.. إن بطلنا الخارق عفريت المصباح في علاء الدين، وخاتم سليمان، بل وفي عبارة «افتح ياسمسم» أفضل عندي من بطلهم الذي يفكر لنفسه وينفذ ويدمر كما يشاء، أما العفريت في أدبنا فهو يأتمر بأمر صاحب المصباح والخاتم، الذي يفكر ويطلب وما على العفريت إلا أن يهتف: شبيك لبيك عبدك بين إيديك.. هو يأتمر بالعقل الإنساني، حتى ولو قيل لنا إن هذا من تراث (العبودية) لدينا.. لأننا ناهضنا العبودية والرق قبلهم بقرون طويلة..

لاتعارض بين الأدب الإسلامي وبين الأدب العربي أو التركي أو الإيراني أو الأندونيسي، وما من تجزئة.. هي حرية يريدون بها أن تغفل عنه.

■ ■ ■ ما رأيك في مجلة الأدب الإسلامي؟ وهل حققت الأهداف المرجوة منها؟

■ ■ ■ إنها جهد طيب، يثاب عليه أصحابه في الدنيا والآخرة.. ولا أظنها قد حققت فعلا الأهداف المرجوة منها، وآمل أن تتسع صدورنا لمثل هذا الرأي في ذات المجلة.. لسبب واحد هو أنها تصدر في نطاق الأدب الإسلامي، العربي.. والسؤال: أين هو الأدب الإسلامي في الأقطار الإسلامية؟

لاشك أن هناك أدبا إسلاميا، وجد في البوسنة والهرسك أين هو؟ وأين الأدب الإسلامي في ألبانيا؟!.. إنني أذكر هذا قبل أن أذكر أين هو في بلاد المشرق الإسلامي.. وأين الأدب

الأطفال لأدبهم الإسلامي: إنه أدب، وإسلامي، ولأطفال، كل عنصر من هذه جدير بالتركيز عليه.. وليغفر الله لنا إن نسينا أو أخطأنا.. إنه نعم المولى ونعم النصير.

وختاماً..

أرجو أن تغفروا لي إذا طاشت مني عبارة - هنا أو هناك - فيها شيء من الفخر أو الزهو.. الله يعلم أنني من أكثر خلق الله بساطة وتلقائية.. وربما تكون هذه أيضاً فيها شيء من المديح للنفس، لا أريده. إنني أحاول أن أضع «توصيفاً» لا أكثر ولا أقل.. خاصة وهناك من يترقب بنا، ويفتش عما يراه من وجهة نظره: ليس مجرد خطأ بشري، وإنما يود لو يخرجنا من زمرة المؤمنين، وضعت عبارة «اطلبوا العلم ولو

في الصين» بين قوسين في عمل لي، وإذا بأحدهم يقول: هذا ليس حديثاً شريفاً! مع أنني لم أقل قط إنه حديث، هل مجرد وضعه بين قوسين يعني أنه حديث؟! هي محاولة للانتصار على الآخرين، لا أكثر.. وليس هذا سبيلي، إنني أعمل، وأبتسم لدى قراءة أن كاتباً كبيراً ناجحاً قيل له: مالك متجهم بأئس؟!.. أجاب «منافسي كتب عملاً رائعاً.. وقد دربت نفسي على أن أفرح وأبتهج إذا كتب أحدهم عملاً

نافعاً، لست في منافسة وصراع، ولست طرفاً في خلاف ونزاع، صدري واسع، وقلبي أيضاً، لحب الناس.. والأدب.. والمنافسين أيضاً.

الطابع الإسلامي، فيها من الروعة ما يتجاوز أعمال بعض الأدباء المسلمين، لأنه تأثر كثيراً بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.. فقط، أناشد الأدباء المسلمين أن يستوحوا أعمالاً أدبية من ديننا الحنيف، إذ فيه كنوز تجل عن الاحاطة بها، كما أن القرآن الكريم - كلام الله - له جلاله وروعته، وأناشد الكتاب والأدباء المسلمين أن يلتمسوا هذه الينابيع وسوف يتدفق عليهم فيض من الأفكار تثري أعمالهم.. وأتطلع إلى أن يحتفي كل منهم بالآخر، ولا يكون معول هدم له، إذ يحمل البعض هراوة غليظة، ويتسقط الأخطاء أو ما يتصوره أخطاء وينهال على أخيه المسلم، واحد من هؤلاء توسمت فيه الخير، أضاع من وقته شهوراً لكي يسفه واحداً من أعمالي ويتهمني بأنني أسير على درب المستشرقين لمجرد أنني قلت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم الكثير على يدي جده وعمه، ودار الندوة، وراح يصرخ هاتفاً ومندداً: هذا ما يقولونه عنه في الغرب وانه عن هذا الطريق «أتى بالقرآن».. واستغفر الله لي وله، تكفي قراءة للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف لتعرف الفارق الكبير بين ماهو إلهي، وماهو بشري.

أما كان أجدر بالصديق وبني أن نضيف جديداً، بديلاً عن هذا الذي يبعد الطاقة والجهد؟!.. كم أضعنا نحن الذين آمنّا بالله ورسوله من أعمارنا وتاريخنا في خلافات، كان من الأفضل لنا أن نتجاوزها.. لقد قتل بعضنا بعضاً من أجلها، وضاع منا الكثير.. هل آن الآوان لأن نعرف «الحوار» بديلاً عن المواجهة، و«الإبداع»، عوضاً عن التريبص والانهام، - ببساطة شديدة - بالخروج والعياذ بالله من الدين لمجرد رأي نراه؟!.. فلنترقق ببعضنا البعض، ولا نتحارب، ولا ننتقل، بل نتكامل، ونتعارف، ونتعاون، ويشد الاخ أزر أخيه، ويسانده ويساعده على الخير، والبر، والتقوى.. إننا نتعلم على أيدي أساتذتنا ولنصف إلى ما قدموه، ويمكن أن نختلف معهم ونعارضهم بإنتاج أدبي، وليس عن طريق تقارير مباحثية تبدو في صورة دراسات ومراجع (صديقنا كتب في مقال له ١٥٠ إحالة تسعون بالمائة منها عبارات يلتقطها ويضعها في غير سياقها سباً وشتماً.. ياسيدي أكتب أنت الصحيح، وسيسقط الخطأ وينتهي ويموت، إنه يكتب كتاباً كاملاً يسخف فيه ما كتبه آخرون عن عثمان بن عفان.. دعم ياسيدي، واكتب أنت الصحيح عن الخليفة والصحابي الجليل..

إنني لا أهمس فقط، بل أقف من فوق مئذنة، أناادي: حي على العمل الأدبي الإبداعي الذي يهز نفس قارئه، ليعيد حساباته، حتى لو لم يكن مسلماً.. ومن المهم أن يخلص كتاب

